التحليل الأنثروبولوجي للخطاب السردي

رواية "الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي" انموذجا.

Analyse anthropologique du discours narratif

Le roman" Le noir te va si bien " pourAhlamMostaganemi est un modèle.

الطالبة : لبنى بوخناف

جامعة 8 ماي 45/ قالمة.

الملخص:

يعرف السرد العربي عموما تحوّلا بارزا– في سياق ثقافي واجتماعي وحضاري– يحكمه هاجس البحث عن النموذج المغاير والشكل الروائي المتفرد بغية تحقيق الإكتمال الفني، خاصة في ظل تعدد آليات التحليل ولعل أبرزها التحليل الأنثروبولوجي للأدب، حيث أصبح هذا الأخير يطرح نفسه على الساحة الأدبية والنقدية بوصفه مجالا خصبا للدراسة ،وإذا كان مركز اهتمام الأنثروبولوجيا هو الإنسان فالكتابات الروائية تضعنا في فضاء سردية جديدة تُحاكي أبحاث الأنثروبولوجيا، وتُحاور العديد من المقولات الإجتماعية والثقافية ذات الحضور الرمزيالتي تجعل من الجسد السردي مادة لنسيج عريض من الأنساق المُعلنة والمُضمرة ،فتنقلنا بذلك من نص الثقافة إلى ثقافة النص تماما كما تُصوّرها رواية "**الأسود يليق بك**" للمُبدعة أحلام مستغانمي.

الكلمات المفتاحية:السرد، الأنثروبولوجيا، الخطاب الروائي، أحلام مستغانمي ،الأسود يليق بك.

Résumé:

Les récits arabes définissent généralement une transformation remarquable dans un contexte culturel, social etcivilisé, dominé par l'obsession de rechercher un modèle différent et une forme narrative unique pour atteindre la

perfection artistique, notamment à la lumière de la multiplicité des mécanismes d'analyse, notamment l'analyse anthropologique de la littérature. C'est un domaine d'étude fertile: si l'anthropologie est au centre de l'activité humaine, l'écriture narrative nous place dans un nouvel espace narratif qui simule les recherches anthropologiques et interagit avec de nombreuses déclarations sociales et culturelles de présence symbolique qui font du corps narratif un matériau d'un vaste tissu Le texte de la culture et de la culture du texte, tel qu'imaginé par le roman "Le noirte va si bien" du créateurAhlamMastaghanmi.

Mots-clés: La narration, anthropologie ، discours de romancier ، Ahlammostaganemi ، le noirte va si bien.

1) عن الأنثرويولوجيا :

لاقت الأنثروبولوجيا رواجا كبيرا على غرار علوم إنسانية عديدة فباختلاف تياراتها الثقافية وأهدافها سواء الإستعمارية منها أو الحضارية تبقى بالدرجة الأولى بحثا إنسانيا شاملا لقيم ومُعتقدات وثقافات الإنسان،وقد مرّت الأنثروبولوجيا بمراحل تطورية هائلة غيّرت النظرة إلى ماهيتها وموضوعها وهذا ما تؤكده كثرة التعريفات المتعلقة بهذا المصطلح فقد اعتبرها ادوارد تايلور(E.B. Tylor)"الدراسة البيو-ثقافية المقارنة للإنسان"،أما كروبير(A.Kroeber) فيعرّفها بأنها" الدراسة العميقة للجماعة الإنسانية وسلوكها وإنتاجها وهي بالأساس علم خاص بدراسة التاريخ الطبيعي لمجموع أوجه النشاط البشري التي أصبحت مُنجزاتها الراقية في المجتمعات المُتمدينة منذ زمن بعيد ميدانا للعلوم الإنسانية.أما لينتون(Linton)فقد حدّد في دراسة عن الإنسان أنها"علم دراسة الإنسان وأعماله"). [(1)]

ميزة الأنثروبولوجيا تتجلّى في كونها لا تقصر اهتمامها على الجانب المادي البيولوجي للإنسان بل تتعداه لتشمل كل تفاصيل حياته ونشاطه الإجتماعي وتكوينه الثقافي داخل منظومته الإجتماعية الخاصة" لأن الأنثروبولوجي يبحث عن أصل السلوك الإنساني دون أن يُقيّد نفسه بالسلوك الفردي ومن هنا فإن الأنثروبولوجيين يحاولون إلقاء نظرة شاملة على الإنسان باعتباره كائنا ثقافيا، ومنثم تحديد وظيفته أو دوره داخل العلاقة الإجتماعية وفهم عادات وتقاليد الثقافات المختلفة"[(2)]،ولهذا يمكننا أن نعتبر الأنثروبولوجيا

بمثابة الدراسة الشاملة للإنسان دون إضافة أي تفصيل أو تعقيد أو كما اعتبرها البعض" الدراسة المقارنة للجنس البشري أو اعتبار الإنسان بحسب المنظور الأنثروبولوجي يُمثّل حقيقة كبرى يصعب سبر أغوارها إذا أُريد الإحاطة بكل أبعادها وجوانبها وعلاقاتها في الزمان والمكان والتراكيب والنماذج الحضارية والإجتماعية التي تُعبّر عنها"[3].

يمكننا القول أنه بالرغم من تنوع التعريفات إلا أنها تتفق على البعد الشمولي للدراسة الأنثروبولوجية ،انطلاقا من الإهتمام بالإنسان بوصفه كائنا حيّا له قيمه وثقافته المتميّزة عن غيرها باعتباره خاضعا لممارسات اجتماعية ولمبادىء تحكمها العادات والتقاليد المتوارثة، وهنا تحديدا تكمن أصالة وغنى الدراسة الأنثروبولوجية.

2) التحليل الأنثروبولوجي للأدب :

تُعدّ النصوص الأدبية محط اهتمام مختلف تخصصات العلوم الإنسانية كونها ذات محمول ثقافي واجتماعي ومعرفي واسع يشمل العادات والتقاليد والطقوس وأساليب العيش...فالأدب من أهم الوسائل التعبيرية التي لجأت إليها الشعوب تعبيرا عن **واقعها"إلا** أن الأدب يُقدّم لنا هذه الصورة بأساليب رمزية تختزن الكثير من الدلالات والإيحاءات التي تُحقّق للمتلقي المتعة الفنية والثقافية، ومادام الفن أو الإبداع يحمل هذا المضمون الثقافي فإنه يجعل الفن موضوعا للأنثروبولوجيا الثقافية الإجتماعية يُعرف هذا التخصص" بأنثروبولوجيا الفن"، وإذا اقتصر البحث في مجال اللغة والرمز والنظم التي تتضمن الدلالة يُعرف" بأنثروبولوجيا الأدب" على أن الباحث الأنثروبولوجي في مجال أنثروبولوجيا الأدب ليس ناقدا فنيا وإنما هو يهتم بالكشف عن ذلك السياق الثقافي الإجتماعي في المجتمع"[4]،وعليه فالنص الأدبي أصبح بمثابة– مجال أنثروبولوجي–يقتضي النظر إلى الأدب عموما نظرة أكثر شمولية في ظل محاولاته المستمرة للإستفادة من مختلف العلوم والتخصصات خاصة الأنثروبولوجيا التي أصبحت إطارا واسعا يضع النصوص الأدبية في خانة الإنتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها التعبير عن ذاته .

يقوم التلاقح المنهجي المُتعدّد بفرز قضايا جديدة ضمن مسار الكتابة الأدبية من أبرزها علاقة التحليل الأنثروبولوجي بالأدب، فالقول بأن العمل الأدبي علامة ثقافية هو كذلك الإعتراف له بالقدرة على التلفظ وعلى تحديد ملامح خصوصية الثقافة التي يندرج فيها ومُدوّن بها حيث" يُشكلن(يمنح شكلا) العمل الأدبي ويُحلّل ملفوظيا بطريقة واضحة إلى هذا الحد أو ذاك خطاب هذه الثقافة ،حيث تُشكّل فيه

الأسطورة الصياغة الأكثر جذرية(راديكالية) لذلك فالنص الأدبي هو بمثابة النص الإثنوغرافي الذي يرتكز عليه الأنثروبولوجي في كتابته الوظيفية حيث المُبتغى نظري في الأساس تعميمي في العمق، وسواء كان الأنثروبولوجي هو نفسه من قام بالدراسة الإثنوغرافية أم لا فإن هذا الأخير يمكن أن يتّخذ من النص أو العمل الأدبي موضوعا مثله مثل الواقعة أو الحدث الثقافي والإجتماعي من خلال بسط أبعاده الأنثروبولوجية للدراسة والتحليل"[5]، هذا مايؤكد أن هناك مساحة مشتركة بين الدراسة الأنثروبولوجية والإبداع الأدبي .

تتجلّى علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب بصورة واضحة في الأعمال الروائية خاصة في ظل التحوّل الكبير الذي شهدته الرواية العربية على كافة المستويات ،وقد استطاعت بذلك أن تُحقّق لنفسها المصداقية عبر معالجتها مختلف القضايا الإجتماعية والثقافية والفكرية لواقع حال المجتمعات التي كان للعربية منها النصيب الأوفر في ظل ماشهدته من من تغييرات احتوتها سطور الرواية ونقلتها" عبر تحويل اللغة من قواعد وتعبيرات جاهزة إلى لغة مستوعبة لمظاهر التبادلات الشاملة انطلاقا من طرائق العيش إلى الوعي بالهوية ومشكلات المثاقفة"[6]،هذا ما يثبت أن النص الأدبي عموما والروائي بصفة خاصة ذو طبيعة أنثروبولوجية وأن فعل القراءة نفسه سيكون بمثابة فعل أنثروبولوجي.

سنحاول اعتماد المقاربة الأنثروبولوجية في دراسة وتحليل رواية "الأسود يليق بك" لما تزخر به من مظاهر أنثروبولوجية تعكس عادات وتقاليد المجتمع الجزائري ،وفق رؤية سردية تُبرز خصوصيته بين مدّوجزر الإختلافات الإجتماعية والفكرية والثقافية بأسلوب جمع بين الخيال والواقع ،باعتماد لغة راقية استطاعت مستغانمي صوغها من خلال نص روائي ثقافي متميّز.

3) التحليل الأنثرويولوجي لرواية الأسود يليق بك:

لقد خلق هوس البحث عن النموذج الروائي المغاير نقلة نوعية في عالم الكتابة تجاوزت عتبة الجماليّات كهدف أساسي، و تمرّدت على كل مواصفات الكتابة الكلاسيكية وخرقت قواعد الجنس الروائي خاصة رواية "**الأسود يليق بك**" التي استطاعت أن تخرج من شرنقة الإيديولوجيا لتصبح نصا سرديا ثقافيا مُنفتحا على العديد من المقولات الإنثروبولوجية:

أ- أنثرويولوجيا المجتمع الجزائري:

تترك القراءة الأنثروبولوجية المجال واسعا للذات القارئة وتمنحها حرية تأويل النصوص مع مراعاة السياقات التاريخية والسياسية والثقافية التي أنتجتها، وهذا يفتح حيزا واسعا للكشف عن مُضمرات النصوص الجزائرية خاصة رواية "الأسود يليق بك" حيث كشفت هذه الأخيرة عن بنيات عميقة غائرة تعكس قضايا المجتمع الجزائري بما تُمثّله من مقولات أنثروبولوجية تتبع خصوصية بيئتها الأصلية ومن أبرزها:

1.سلطة المجتمع:

تؤسس الرواية بحكم تفاعلاتها وأدوارها لأسئلة وقيم وعلامات لذلك فهي تسعى للإحتفاظ بدورها داخل إطارالمجتمع وتحتاج إلى تجديد دمائها وتطعيم حركاتها وتعضيد رؤيتها وهويتها **"**بمراجع ذاتقنوات متعددة وسجلات مفتوحة على دينامية المُتخَيَّل الجمعي ،عبر استمدادات للقول الشفوي والأفكار مع الحاجة باستمرار إلى مراجع لتأكيد وتحصين هويتها وهوية انتمائها الثقافي والإجتماعي،مراجع اجتماعية منفتحة على تفاصيل المعيش تلتقط كل النسائج والتلوينات المحلية من لغات ولهجات وعادات وأوعاء وتناقضات ومُتخيّل لإكسابها ملح الخصوصية**"**[7]،وفي رواية "**الأسود يليق بك**" تتصدّع تشققات الشخصية البطلة "**هالة الوافي**" داخل إطار المجتمع الأوراسي وفي ظل صعوبة الظروف الإجتماعية وكأن بالزمان والمكان يتآمران ضدّها ،وهذا تماما ما حاولت الروائية نقله والتعبير عنه من خلال روايتها لأن الكتابة تعبير عن الذات في السعي نحو تحقيقها الكينوني، إنها محاولة واعية من أجل تفسير ما يحيط بنا وما يتداخل معنا من ثقافات وهويات مختلفة، إنها على حد تعبير الكثيرين**"**تجربة في البقاء وكيان حقيقي نابض يستحضر موت صاحبه الغائب على المستوى الإجتماعيُ فتُصبح قضية إنسان واعي يعايش قضايا عصره لا كمتفرج ولكن كفاعل فيه، لأن الكتابة سلطة تمارس وظيفتها في ضبط وتنسيق الإنتاج الفكري وتستشفُّ الآتي فتُنير له الدرب **"**[8].

تتبنّى **رواية** "**الأسود يليق بك**"بُعدا أنثروبولوجيا مُلَغَّم الدلالة يجمع تناقضات العالم إنه المجتمع الجزائري الذي يهب أسمى درجات الكرم والعطاء ويُجسّد أقصى درجات الحرمان، يُؤمن بالعطاء المادي ويُحرّم سلك دروب العطاءات الوجدانية تحت مُسميات العاطفة والحب والمشاعر، إن المجتمع الجزائري– فترة العشرية السوداء– منح هالة (بطلة الرواية) شعورا بالغربة لا يحكمه مبدأ المسافة أو البعد المكاني إنها غربة مشاعر وأحاسيس باللاانتماء ،إنه بحث عن وطن داخل الوطن، وهوية داخل الهوية الوطنية ذاتها،

فهالة المثقفة تُدرك جيدا مكمن الفرق بين الهوية والإنتماء ،وأن غربة المشاعر أصعب من غربة المسافات تحتاج قوة لمُجابهة التنافر بين ما تؤمن به هالة من حرية واستقلالية وشعور ملفت بحق الأنا وبين ماتفرضه مواثيق مدينتها **مروانة** الأوراسية تحت دستور واحد شعاره كلمات ثلاث مقدسة: ("**عيب، حرام، لا يجوز)**" في مدينتها تلك الحب ضرب من الإثم لا يدري المرء أين يهرب ليعيشه في سيارة؟أم في قاعة المعلمين أم على مقعد في حديقة عامة ؟...في نوبة من نوبات العفّة تم إلقاء القبض ذات مرة في العاصمة على أربعين شابا وصبيّة معظمهم من الجامعيين، وأودعوا السجن فيما كان الإرهابيون يغادرونه مستفيدين من قانون العفو ،كان زمنا من الأسلم فيه أن تكون قاتلا على أن تكون عاشقا"[9].

صنع هذا التكوين المجتمعي المُتزمّت من هالة أنثى تطمح للخروج من بوتقة المجتمع الذي أعلن سقوط سُلطة جسدها وكان سبب انفصالها عن ذاتها ،محاولة تجاوز هزيمتها في مجتمع آخر لتصبح امرأة مسؤولة ذات قضية سلاحها الأهم فيها صوتها (الغناء).

2. جبروت الرجل :

عكست فترة العشرية السوداء الكثير من الصور السلبية واللاعقلانية حول طبيعة العلاقة بين **المرأة والرجل** تحت مُسمى المجتمع الجزائري المُحافظ، حيث كانت المرأة دائما على المحك ولا شيء يمكن أن يعتق أسرها الجبري تقول الروائية " لقد غيّر تهديد الأقارب سُلّم مخاوفي إن امرأة لا تخشى القتلة تخاف مُجتمعا يتحكم حُماة الشرف في رقابه ،ثمة إرهاب معنوي يفوق جرائم الإرهابيين "[10]. خاصة بالنسبة لامرأة تتنفس فنّا مثل **هالة** والأغرب أنها تعيش في مدينة الفن (الأوراس) ،ثم تُحرم منه بحجة العادات والتقاليد وتحت لواء الكلمة المقدسة :(**الشّرف**)"حين وَقَفْتُ على الخشبة لأول مرة كان خوفي من أقاربي يفوق خوفي من الإرهابيين أنفسهم ،أنا ابنة مدينة عند أقدام الأوراس لا تَساهُل فيها مع **الشرف**"[11]، فالحياة داخل الأوراس يحكمها صوت الجماعة باسم فخامة الرجل، ولا وجود لحياة خارج سرب الجماعة وهذا لايعكس صورة المرأة عن ذاتها ،إنما هي صورة الآخر أو الجماعة عنها على اعتبار أن الآخر دائما هو مرآة الذات "فليس الحد هناك هو الأنا بل الأنا في علاقة تفاعل داخلي مع الأشخاص الآخرين، أي الأنا والآخر، الأنا والأنت"[12].

تنقل لنا الرواية تحت لواء ثنائية **المرأة /الرجل**ثنائية فرعية هامة **(المرأة /الجسد)** وهي في الحقيقة صورة رسَمتْهَا المُخيلة الذكورية منذ القدم وأصبحت نسقا اجتماعيا وسلوكيا وثقافيا، يجعل المرأة مُعادلا للشهوة

وهي نفس الصورة التي رسمها بطل الرواية: **طلال هاشم"** كانت الأَنَفَة تزيد من اشتهائه لها فهو يُحب تلك اللَبُؤة النائمة بينما كانت هي ترى في إغداقه غير المُبرّر إهانة لقيم الرجولة التي تربّت عليها كُلّما ذكّرها بأنها عزلاء أمام سطوة ماله هو لا يُجَرّدها من أُنوثتها بل من رجولتها**"**[13].إنه نموذج الرجل الشرقي عموما فهو من يختار ويُبدع في اختيار أُنثاه التي رسَمَتْهَا مُخيّلته دون أن يَغفل عن تجريدها من أسلحة القوة والحُضور الإجتماعي المنوط بها كشريكة حياة فاعلة ،فهي دائما في صيغة المفعول به " مؤودة ،معشوقة ،معبودة...الخ، ونتيجة لكل هذا تقلص دور المرأة وأصبحت مُجرد (جسد) **"**وتم استثمار هذا الجسد ثقافيا وجرى دفع المرأة لأن ترى نفسها على أنها جسد مُثير، وصارت تسعى إلى إبراز هذا المعنى فيها وهان على الثقافة الذكورية أن تَفُكّ العقل وتعزله عن الجسد لتجعل العقل للرجل وحده والجسد الخالص للأنثى "[14].

لقد أبدعت **أحلام مستغانمي** في التعبير عن خطورة هذه الثنائية وما يُكبّلها من قيود داخل المجتمع الجزائري عبر رؤية أنثروبولوجية استنطقت هذا البعدالإجتماعي المُضمر.

3.هيمنة الساسة(أهل السياسة):

اتخذت رواية "**الأسود يليق بك**" وضعية مغايرة فتحت لنا مساحة للإشتغال على جسد الوطن المُصاب بالتمزق والتشظي ،من خلال رصد مشاهد الإستغلال والتخريب وكافة الممارسات الإرهابية فترة العشرية السوداء التي وضعت سؤال الهوية والتحرر في أقصى درجات التوتر، ونشرت ثقافة التمرّد والكره داخل المجتمع الجزائري **"**هذه المرة ليس الجيش الذي يقتل الأبرياء بشُبهة إسلامهم بل الإرهابيون يقتلون الناس بذريعة أنهم أقل إسلاما مما يجب ...لأن أمن الوطن لا يتحقق إلا على حساب العدل ،عمّ السلام المدني وانفقد السّلام الذاتي ،فالضحايا ليست لهم صفة الضحية مادام المُجرم لا يحمل صفة المجرم...فالإرهابيون الذين كانوا يحرقون الأعلام الوطنية أول ما يصلوا إلى قرية ينزلون الآن من الجبالوهم يرفعونها،والذين طال عُنفهم حدّ نبش عظام شهداء الثورة وإحراقها لأنهم ساهموا بجهادهم في ولادة دولة علمانية هم الآن يتنافسون على إثبات ولائهم للدولة كي يفوزوا بكرمها**"**[15].

إن أحلام مستغانمي بعباراتها هذه إنما تنقل أدق تفاصيل الحياة اليومية زمن العشرية السوداء إنها تؤرخ لزمن التمزقات الاجتماعية والهزات النفسية، دون أن تنسى التكوين البنيوي الجمالي الخاص بالرواية كفضاء مستقل، إنها تُشاكس قداسة التاريخ السياسي لتنقل مُضمراته إلى السطح، وتُوصل جوهر الحقيقة

بأبعاده الإجتماعية والثقافية والسياسية وحتى النفسية ،إن التاريخ السياسي للجزائر في هذه المرحلة الحرجة شكّل الماضي الذي ترك تأثيرا مُستمرا شديد السطوة مدّ بظلاله على أزمنة قادمة، إنه بمثابة خزّان كبير لسيرورة الحياة .

تتغير الدلالات الأنثروبولوجية للمجتمع الجزائري بأبعاده السياسية والاجتماعية بين أبطال الرواية وشخوصها فالباحث عن الهوية ليس كالباحث عن السلطة، ولا كالباحث عن الفتنة ،إن زمن العشرية السوداء جانب مُظلم من تاريخ الجزائر عشّش في عقول الشعب كُلّ حسب انتماءه وحسب أهدافه ،وإن كان في أغلب الأحيان ينخدع الناس بالسُّمعة المزيَّفة ويظهر السارق في ثوب الإمام "ما الذي يُخرج المرء عن صوابه غير أنه يرى لصوصا فوق المحاسبة ...ينهبون ولا يشبعون ويضعون يدهم في جيبك و يخطفون اللُّقمة من فمك ولا يستحون ،إنه القهر والظلم والحُقرة ما أوصل الناس للجنون ،إذا فقد الجزائريُّ كرامته فقد صوابه لأنه ليس مُبرمجا جينيّا للتّأقلم مع الإهانة "[16].

لم تكن العشرية السوداء سوى نقطة انطلاق نحو البناء والتّجديد ،تماما مثلما فعلت **هالة الوافي** التي استطاعت تصفية حساباتها مع الماضي، وأثبتت هويتها إلى جانب ذلك كله تصدّت لموت الأنثى داخلها، وغنّت أُغنيتها مُتحدية مرارة الماضي الأليم فقهرت الإرهاب بصوتها وضمّدت جراحات الجزائر التي انبعثت من سنوات التسعينات طائر عنقاء جديد تضاهي السماء شموخا وعزة .

ب- أنثروبولوجيا التراث الشعبي الجزائري(الموسيقى،الأمثال،الأغاني):

تُعد **الثقافة الشعبية** أحد مُحدّدات الهوية الثقافية للمجتمع وقد حملت رواية **الأسود يليق بك**مُعطيات تراثية فريدة ساهمت في بناء النسق الشعبي العام لعمران الروايةّ ،وشكّلت بنية منسجمة عبّرت عن كل فئات المجتمع الجزائري خاصة أصواتها المتشبّثة بأرضها والمجابهة لحملات الإقتلاع التي تُناورها ومن أبرز مظاهرها:

1).**الأمثال الشعبية**:لقد عكست الرواية أنثروبولوجيا الثقافية الشعبية التي كرّست العودة اللازمة إلى ماضي الأوراس الشامخ الذي يرفض الإنمحاء، حيث لم تعد تنظر الدراسات الثقافية إلى النص على أنه نص ولا إلى الأثر الاجتماعي أو النفسي الذي قد يُظن أنه من إنتاجه، إنما تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية " فالنص هنا وسيلة وأداة للكشف عنها وحسب مفهوم

الدراسات الثقافية ليس النص مادة خاما يُستخدم لاستكشاف أنماط معينة من الأنظمة السردية والإشكالات الإيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص. لكن النص ليس هو الغاية القُصوى للدراسات الثقافية وإنما غايتها المبدئية وعي الأنظمة الذاتية في فعلها الإجتماعي في أي تموضع كان بما فيذلك تموضعهاالنصوصي"[17]والفرد بوصفه منتجا للمعرفة لا يملك إلا أن يتحرك داخل هذه الأنساق.

يتبدّى من خلال" **رواية الأسود يليق بك**"تأثير **الأمثال الشعبية**على الحياة الإجتماعية حيث نشأت هذه الأخيرة لتُعبّر عن التجارب والمواقف العملية التي تولّدت في أغلبها من حالات فردية اختلفت زمانا ومكانا وتنوعت بتنوع الحياة نفسها،فبالرغم من الإنتقال من مرحلة إجتماعية إلى أخرى مازال الإنسان الجزائري وفيّا لهذه الثقافة المتوارثة، ومازالت الأمثال لصيقة بألسنتهم وعنصر وصف ذا دلالة رمزية غنية تعكس أحوال الناس، وتمُد جسر تواصل بين ماضيهم ومايعيشونه اليوم وغالبا ما يتطابق موقف قول الأمثال في الزمن الماضي، مع عصرنا الحالي لشدّة ثقلها الدلالي ومغزاها الموزون، ومن أمثال رواية **الأسود يليق بك**"الكرم يغطي العيوب، خلينا نستر حالنا بالجود، ياكلني الحوت ولا ياكلني الدود..."[18].

تُعدّ الأمثال الشعبية كلمات موجزة إلا أنها بليغة، سمتها الإختصار وعمق الدلالة، فهي تتجاوز المعنى السطحي البسيط لتنقل أسمى المعاني التي تهدف إلى خلق تواصل بين الإنسان وطرق تكيفه داخل مجتمعه، ومع بقية التجمعات البشرية الأخرى .إنها ببساطة تتجاوز الإنعكاس البسيط للوعي الجماعي الواقعي لأن المثل الشعبي عامة "يميل دائما إلى أن يبلغ درجة عالية من الإنسجام تُعبّر عن الطموحات التي ينزع إليها وعي الجماعة التي يتحدث الأديب باسمها، ويمكن تصوّر هذا الوعي كحقيقة مُوجّهة من أجل حصولالجماعة المذكورة على نوع معين من التوازن في الواقع الذي تعيش فيه"[19] . فالمثل الشعبي لا يتجاوز الجملة البسيطة، إلا أنه حامل لشتى الصور المجتمعية وناقل لها بكل ما تُحقّقه من خصائص فنية وجمالية وكل ما تبُثُّه في عقل الإنسان من مُدركات تُنمّي ارتباطه الدائم بالثروة الثقافية للمثل الشعبي.

عكست الأمثال الشعبية بأسلوب دال غير مباشر الوضع المُتأزّم الذي بات يعيشه المجتمع الجزائري رافعة سقف التحدي بين الماضي والحاضر، فبمجرد أن غرفت من التراث الشعبيكشفت أزمة الحاضر الذي يفرض تلبية متطلبات تحضّره في مقابل قناعة الماضي بقيمة امكاناته ،وبهذا تُحقّق الأمثال الشعبية دلالتها الوظيفية كمُعطى ثقافي فاعل داخل مجتمع جزائري مُتأزّم .

2. الأغنية الشعبية:

عزّزت أحلام مستغانمي الكثافة الرمزية التي تحملها روايتها بنسق شعبي متميز مَثَّل أصالة المجتمع الأوراسي وسلاح رجال الجبال كما لقّبهم الإستعمار الفرنسي، إنها**الأغنية الشعبية**: "كان المطربون على أيام جدّها مُنشدين وأبناء طرق وزوايا دينية ،وكانوا ثُوَّارا أيضا ومجاهدين نجا بعضهم وسقط آخرون كأحد أبناء مشيخة الزاوية المختارية الذي أُكتُشف أمره ،كان عازف كمنجةويُهرّب وثائق الثورة بإلصاقها في جوف الكمنجة"[20]فالأغنية الشعبية الأوراسية لم تكن أغنية فرح تبعث دعوة رقص لمستمعيها ،بل كانت أغنية حزن آلتها الناي صديق الأحزان وصديق أهل الفراق ،إنها أغنية الثورة وأغنية الشجن بامتياز"كان يأخذ نايه المُعَلَّق إلى ظهر بُرنسه ويشرع في الغناء ،غناء كأنه نواح يُفضي به إلى التجلي نشوة كلما عبر صوته الوديان إلى الجبال الأخرى، لا يسعد إلاعندما يعود له رجع الصدى، وكأن أحدا يردُّ عليه من الجبل الآخر"[21].

لم يختار أهل الأوراس الناي صُدفة، إنه يجمع بين السحر والقُدُسية، وهي ميزة اختياره فهو أصيل وأزليّ، وفي كثير من الأحيان يُمثّل رمز الخلود :

"أعطني الناي وغنّ

فالغنا سر الوجود

وأنين الناي يبقى

بعد أن يفنى الوجود"[22].

يبقى الأهم عند الأوراسي أن الناي رمز للوطن والوطنية ،إنه أداة تحذير للمجاهدين زمن الإستعمار، مُرفق بموال خالد في الذاكرة **(يا اااا يا اااي)**[23]، فهو يسأل حُماة الجبال أخذ الحيطة والحذر، وكأن بهذه الآلة وهذا الموال جسر تواصل يحمل حمولة رمزية ودلالية تفوق كل التوقعات، وقد عجز المُستعمر بكل قُوته عن فهمها أو إدراك مغزاها، إنه وسيلة مقاومة ساحرة، وهو اللحن الخالد والأنين الشجي ،إنه رجع صدى الموجوع والمُعاتب والمُفارق "الناي صديق كل أهل الفراق لأنه فارق منبته واقتُلع من تُربته بعد أن كان يعيش بمحاذاة نهر عودا أخضر على قصبة مورقة تُرك ليجف، فأصبحت سحنته شاحبة

،وانتهى خشبا جامدا عندما تم تعريضه للنار ليقسو قلبه وأحدثوا فيه ثقوبا ليعبر منها الهواء كي يتمكّنوا من النفخ فيه بمواجعهم وإذ به يفوق عازفه رنينا"[24].

كما ذكرت الرواية أكثر أغاني الشاوية حزنا وألما"**(عياش ...آاا عياش يا ممي)**"[25]لتعزّز الكثافة الرمزية التي تحملها الرواية فكل هذه الفنون إنما تدل على مستويات رمزية مناسبة للحكي السردي، مُعمّقة دلالاته، وموسّعة من أثره الفني لقد أضافت لونا جديدا ،وذوقا نوعيا وبُعدا جماليا لا يخلو من الرمزية التراثية للرواية ،كما أنه يعكس تميّز التراث الجزائري، وتحديدا الأغنية الأوراسة الشعبية عند قوم يُمجّدون الصوت أكثر من المال، والناي أكثر من الجاه ،ولفرط خوفهم على أصواتهم يتذرّعون إلى الله بنفس الدعاء كل مرة **" يارب نقّص لي في القوتوزد لي فيالصوت "**[26].

خاتمة:

أسهمت القراءة الأنثروبولوجية في إماطة اللّثام عن البنى الإجتماعية والثقافية داخل النص الروائي لأحلام مستغانمي حيث أبدعت هذه الأخيرة في نقل صورة حقيقية عن الواقع المُعاش ،وقد أسهم تنوع مادتها الروائية في بناء المنظور الفني للرواية وإكسابها وظيفة السرد التخييلي وفق رؤية أنثروبولوجية متميزة ،خلقت للرواية شعريتهاوللخطاب السردي جماليته التي أبدعت مستغانمي تشكيلها بين العالمين الواقعي والتخييلي .

قائمة المصادر والمراجع:

- **علاء جواد كاظم، الصورة حكاية أنثروبولوجية-معاينات مونوغرافية في الأنثروبولوجيا المرئية-،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،2013.**

- عبد الله عبد الغني غانم،الأنثروبولوجيا الثقافية،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ،مصر ،ط1،2006
- غيبوب باية،الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية-"مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز – أنماطها،مواصفاتهاأبعادها ،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،تيزي وزو،الجزائر،دط،2012.
- عياد أبلال،أنثروبولوجيا الأدب-دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي-، دارروافد للنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر،ط1 ،2011.
- محمد برادة،أسئلة الرواية،أسئلة النقد:حوار مستحيل؟،مجلة آفاق،العدد (1)،أبريل 1989.
- سعيد بوطاجين، المحكي الروائي العربي، أسئلة الذات و المجتمع، إشراف: منى بلشم، دار الألمعية للنشر و التوزيع، قسنطينة الجزائر، ط1،2014م.
- عدلان رويدي،الرواية وحوار الأنساق الثقافية – قراءة في رواية "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج"،مجلة المخبر،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة/الجزائر، العدد العاشر، 2014م.
- أحلام مستغانمي ،الأسود يليق بك، دار نوفل، بيروت، لبنان، دط ، نيسان، 2012م.
- تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين-المبدأ الحواري-، ترجمة:فخري صالح،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنانط2،1996
- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، دط،2006م،ص34.
- حفناوي رشيد بعلي ،مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب للنشر والتوزيع ،عمان الأردن، ط1 ،2011م.

➢ حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي- دراسة بنيوية تكوينية - دار الثقافة ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط1 1985م.

(1).علاء جواد كاظم، الصورة حكاية أنثروبولوجية-معاينات مونوغرافية في الأنثروبولوجيا المرئية-،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1،2013 ،ص26.

(1).عبد الله عبد الغني غانم،الأنثروبولوجيا الثقافية،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ،مصر ،ط1،2006 ،ص9.

(2).علاء جواد كاظم،مرجع سابق،ص30.

(3) . غيبوب باية،الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية-"مائة عام من العزلة" لغابرييل غارسيا ماركيز - أنماطها،مواصفاتها،أبعادها،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ،الجزائر ،دط، 2012 ،ص 62، 63.

(1) .عياد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب- دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي-، دارروافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر ط1،2011،ص105106.

(2).محمد برادة، أسئلة الرواية، أسئلة النقد:حوار مستحيل؟، مجلة آفاق،العدد1،أبريل 1989،ص 37.

(1). سعيد بوطاجين، المحكي الروائي العربي، أسئلة الذات و المجتمع، إشراف: منى بلشم، دار الألمعية للنشر و التوزيع، قسنطينة ،الجزائر ط1، 2014م،ص19، 20.

(1). عدلان رويدي،الرواية وحوار الأنساق الثقافية - قراءة في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج،مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة/الجزائر، العدد العاشر، 2014م، ص414.

(2) .أحلام مستغانمي ،الأسود يليق بك، دار نوفل، بيروت، لبنان، دط ، نيسان، 2012م، ص25،26.

(1) .المرجع نفسه،ص 16

(2). المرجع السابق،ص16

(3). تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين-المبدأ الحواري-، ترجمة:فخري صالح،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، ط1996،2 ص49.

(4). أحلام مستغانمي،مرجع سابق،ص 166

[1]. عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، دط،2006م،ص34

[2]. أحلام مستغانمي،مرجع سابق،ص 194.197.

[1]. المرجع نفسه،ص 27.

[1]. حفناوي رشيد بعلي ،مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب للنشر والتوزيع ،عمان، الأردنط1 ،2011م ،ص137

[2]. أحلام مستغانمي،مرجع سابق،ص62،93

[3] . حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي– دراسة بنيوية تكوينية – دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 1985م ص 12،11.

[1] .أحلام مستغانمي،مرجع سابق،ص61

[2].المرجع نفسه،ص63

[1].مقطع من قصيدة المواكب لجبران خليل جبران

[2].أحلام مستغانمي،مرجع سابق،ص63

[3].المرجع االسابق،ص64

[4].المرجع السابق،ص63

[5].المرجع السابق،ص65